مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 24 عدد: 51 السنة: 2020

مقاصدُ الزَّلازل والهزَّات الأرضيَّة من خلال النُّصوص الشَّرعيَّة

-تقصيدٌ وترشيدٌ-

Purposes of earthquakes according to religious texts

-Rationalization-

د. ياسين بولحمـار
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
yassinboulahmar@gmail.com

تاريخ الوصول :2019/30/31 القبول: 2020/05/19 /النشر على الخط: 2020/06/15
Received: 13/03/2019 / Accepted: 19/05/2020 / Published online : 15/06/2020

الملخَّص:

إنَّ ما يحدث في هذا الكون من تغيُّرات، كوقوع الزَّلازل والفيضانات، وتتابع الهزَّات الأرضيَّة والنَّكبات؛ لهو من أعظم الآيات، الدَّالة على عظمة الله سبحانه وقدرته، والمرشدة إلى جبروته وقوَّته، وقد جاء هذا البحث ليكشف عن بعض المقاصد الشَّرعية والفوائد المرعية من هذه الظَّواهر الطَّبيعية، حتَّى يقف العاقل على حقيقتها وأبعادها، ويستفيد من مَراميها ومَقاصدها، لينتهي به المطاف إلى أنَّ تدبير الله في هذا الكون لا يكون إلاَّ لحِكمة تعود على العباد في المعاش والمعاد.

الكلمات المفتاحية: المقاصد، النُّصوص الشَّرعية، الزَّلازل، الهزَّات الأرضية، التَّرشيد.

Abstract

The events that are occurring in this world, such as earthquakes, floods, aftershocks and disasters are one of the greatest signs that indicate the greatness of God Almighty and his ability and are guidance to his power and strength. This research has revealed some of the sharia purposes and benefits of these natural phenomena, so that people see its truth and its dimensions and also benefit from its aims and purposes. To end up that God's management of this universe is merely wisdom for people in their lives and reincarnation.

Keywords: purposes, religious texts, earthquakes, rationalization.

مقدِّمة:

إنَّ الزَّلازل والهزَّات الأرضية وغيرها من الكوارث الطَّبيعية، من آيات الله الكونية، التي يعيشها النَّاس من حين لآخر، في مناطق مختلفة، وبلدان متفرِّقة، فتجدهم يشتكون من ضَررها، ويتخبَّطون من آثارها، وذلك بما تخلِّفه وراءها من خسائر مادِّية، كهَدم الدُّور وتخريب الممتلكات، وذهاب الأرزاق إثْر السُّيول الجارفة والفيَضانات، وربَّما خَلَّفت بعض الخسائر البشريَّة، كالقتلى والجرحى، بالإضافة إلى حالات الخوف والفَزع التي تتركها في نفوسِهم، فتؤثِّر في مجرى حياتِهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلاَّ أنَّه ينبغي على المؤمن أن يعرف أنَّ هذه الكوارث لا تنزل عبثًا؛ ولا تقع جزافًا؛ بل هي بتقدير الله سُبحانه وتدبيره، وهو الذي يقدِّر ما يكون فيه، قال جلَّ وعلا: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[2]، فهذا الكون:« من الذَّرة إلى المجرَّة في يَدِ الله تبارك وتعالى، فإذا أخرج بعض الأحداث من حيِّز العَدم إلى حيِّز الوجود، فلا بدَّ من أنَّ وراء ذلك حِكمة »[3]، عَلِمَها من عَلِمَها، وجهلها من جهلها.

والكثير من النَّاس يخوض في مسألة الزَّلازل والهزَّات الأرضيَّة ومَصائبها، ويتساءل حول الثَّمرات المرجوَّة منها، فلا ينظرُ إليها إلاَّ بعين زائغة، ونظَرات قاصرة، وفي بعض الأحيان قد تكون مُضرَّةً، فلا يرى فيها سِوَى الدَّمار والخَراب للبلاد، والهلاك والعذاب للعباد، فهي وإن كانت كذلكَ؛ إلاَّ أنَّه لا يُستحسنُ به الوقوف عند السَّطحيات والظَّواهر، والبُكاء على الأطلال وتعداد الخسَائر؛ بل يجبُ عليه إنعام النَّظر في مَعرفة المقاصد الشَّرعية والجواهر، وإعمال الفِكر في محاولة الوُصول إلى حِكمة الأفعال بواسطة العِلل وإلحاق الأشباه بالنَّظائر، التي جعلها الله ـ جلَّ وعَلا ـ خاصَّة بأهل الفِقه في الدِّين وذوي البَصائر.

فلقد « شاءت قدرة الحكيم العليم أن لا يجعل أحكام شَرْعِه بعيدةً عمَّا فطره في عقول البَشر من اكتشاف العلاقات بين الأشياء وأسبابها، أو التَّشابه بين الأمور ونظائرها، لتقوم الحُجَّة على العقل بالنَّص، وليتَمكَّن العقل من إدراك حِكمة النَّص، والمقايسة عليه بعد بذل الجهد ضِمن ما شرعه الله بوسائل الاستنباط »[4]. وهذا ما أدَّى إلى طرح بعض التَّساؤلات المُهمَّة:

ما هي المقاصد الشَّرعية من الزَّلازل والهزَّات الأرضيَّة؟

وهل هناك فائدة منها تعود على العبد؟

وهل تكون هذه الظَّواهر الطبيعية عقابًا من الله لعباده أم رحمة منه بهم؟

لعلَّ الجواب على تلك التَّساؤلات، يكون في هذه الفقرات التي جعلناها على شكل جملة من المقاصد، وعدد من الفوائد، التي استنبطناها من خلال نصوص القرآن الكريم، والسنَّة النَّبوية ـ على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحيَّة ـ.

المقصد الأوَّل: تحذير الله لعباده من مخالفة أمره.

إنَّ ما يرسلُه الله سبحانه وتعالى على العباد من زلزال، وخَسْف وبرُكان، وغيرها من ألوان الكوارث؛ إنَّما هو عبارة عن تخويف لعباده من مُخالفة ما جاء في كتابه، وتحذير لهم من أليم عقابه، وشدَّة حسابه، متى انحرفوا عن الصِّراط المستقيم، وتجاوزوا تعاليمَ الوَحْيَين. وأصلُ هذا المقصد قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾[5].

(1) ـ سورة القمر، الآية/49.

(2) ـ سورة الفرقان، الآية/02.

(3) ـ يوسف القرضاوي، خطب الشَّيخ القرضاوي، (إعداد: خالد السَّعد، مكتبة وهبة، مصر، ط2، 1417هـ، 1997م)، عنوان الخطبة:" زلزال مصر "، (90/1).

(4) ـ بوبكر بعداش، أثر الاختلاف في التَّعليل في الفقه الإسلاميِّ، (دار الكلمة للنَّشر والتَّوزيع، مصر، القاهرة، ط1، 1437هـ، 2017م)، (ص/05).

(5) ـ سورة الإسراء، الآية/59.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد فسَّر قتادة بن دعامة هذه الآية فقال:« وإنَّ الله يخوِّف النَّاس بما شاء من آية؛ لعلَّهم يعتَبرون، أو يذكَّرون، أو يرجِعون، ذُكر لنا أنَّ الكوفة رَجَفَتْ على عهد ابن مسعود، فقال: يا أيُّها النَّاس إنَّ ربَّكم يَسْتَعْتِبُكم فأَعْتِبُوه »[1]. ومعنى يستعتبكم أراد أن تُعتبوه، أي: تُرضوه، ولا يكون ذلكَ إلاَّ بإزالة العَتب عليكم، وإذهاب الغضَب عنكم، بالتَّوبة النَّصوح والاستغفار الدَّائم.

فتخويفُ الله لعباده يكون بالآيات، من رَجْفٍ وزلازل ونَكبات، وخَسْفٍ وهزَّات أرضيَّة وفَيَضانات، وهذا ما أشار إليه مجاهد بن جبر عند تفسيره لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾[2]. قال:«" من فوقكم ": الصَّيحة، والحِجارة، والرِّيح، " أو من تحت أرجُلكم " قال: الرَّجفة، والخَسْف، وهما عذاب أهل التَّكذيبِ ... »[3].

وقد أرشد النَّبيُّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أصحابَه عند وُقوع مثل هذه الآيات؛ بالمُبادرة إلى الطَّاعات، والفَزعِ إلى العبادات، والإكثار من الاستغفار والدَّعوات؛ خشية عذاب يحلُّ بهم، أو واقعة تنزلُ بديَّارهم، فعن أبي موسى، قَالَ:« خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، فَقَامَ فَزِعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَقَامَ يُصَلِّي بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ، مَا رَأَيْتُهُ يَفْعَلُهُ فِي صَلَاةٍ قَطُّ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي يُرْسِلُ اللهُ لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ يُرْسِلُهَا، يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ، وَدُعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارِهِ »[4].

فجاء في الحديث:« أنَّ من حِكمَةِ ذلكَ تخويفُ الْعِباد؛ كما يكون تخويفُهم في سائر الْآيات: كالرِّياح الشَّديدة، والزَّلازل، والجَدْبِ، والأمطار المتواترة، ونَحو ذلك من الأسباب التي قد تكون عذابًا، كما عذَّبَ الله أُمَمًا بالرِّيح، والصَّيْحَةِ، والطُّوفانِ، قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ ﴾[5]. وَقَدْ قَالَ: ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾[6]. وإخباره بأنَّه يخوِّفُ عبادَه بذلكَ يُبَيِّنُ أنَّه قد يكونُ سَبَبًا لعذابٍ ينزلُ كالرِّياحِ العاصِفَة الشَّديدة »[7].

---

(2) ـ ابن جرير الطَّبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1420هـ، 2000م)، (478/17).

(2) ـ سورة الأنعام، الآية/65.

(3) ـ السّيوطيّ، الدر المنثور في التَّفسير بالمأثور، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت)، (283/3).

(5) ـ البخاريّ، صحيح البخاريّ، (تحقيق: محمد زهير بن ناصر النَّاصر، دار طوق النَّجاة، ط1، 1422هـ)، كتاب الكسوف، باب الذِّكر في الكسوف، رقم (1059)، (39/2)؛ ومسلم، صحيح مسلم، تحقيق: (محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ط، د.ت)، كتاب الكسوف، باب ذكر النِّداء بصلاة الكسوف الصَّلاة جامعة، رقم (912)، (628/2).

(5) ـ سورة العنكبوت، الآية/40.

(6) ـ سورة الإسراء، الآية/59.

(2) ـ ابن تيميَّة، مجموع الفتاوى، (تحقيق: عبد الرّحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السُّعودية، 1416هـ، 1995م)، (169/35).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والقرآن الكريم أخبرنا بقصص أقوام، وما لحقهم من عذاب وآلام؛ لـمَّا عَصُوا أمر ربِّهم، وتمرَّدوا على من أُرسِلَ إليهم، استخفافًا منهم بالبيِّنات، واستصغارًا لما يُقْدِمون عليه من عَظائم السَّيئات، قال سبحانه:﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[1]. فهذه خلاصة قصَّة سيِّدنا صالح ــ عليه السَّلام ــ مع قومه، لـمَّا نهاهم الله سبحانه عن التَّعرض للنَّاقة وسُقياها، فتجاوَزوا الأوامر وعَقَروها، ولم يقفوا عند هذا الصَّنيع، والفِعل الشَّنيع؛ بل هَمُّوا بقَتل نبيِّهم، فحلَّت عليهم أصناف من العذاب بِغَيِّهم، وأنزل الله عليهم العقاب الذي لم يخطر عليهم، ففي اليوم الأوَّل اصفرَّت وجوهُهم، وفي اليوم الثَّاني احمرَّت، وفي اليوم الثَّالث اسودَّت، فلمَّا كان اليوم الرَّابع جاءتهم صيحةٌ من السَّماء، ورجفةٌ شديدةٌ من أسفل منهم، ففاضت الأرواح، وزَهقت النُّفوس في ساعة واحدة، ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾، أي: صَرْعَى لا أرواح فيهم[2].

وهذا ما حَصَل مع قوم شعيب ــ عليه السَّلام ــ، قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[3]. وعليه؛ يُمكن القول بأنَّ:« التَّخويف والوعيد بهذه الآيات إنَّما يكون عند المجاهرة بالمعاصي والإعلان بها »[4]، والتَّفاخر بارتكابها، على مرأى ومَسْمَع من العالمين.

وقد فَقِهَ هذا المقصد العظيم، أميرُ المؤمنين عمر بن الخطَّاب ــ رضيَ الله عنه ــ الخليفة الرَّاشد المُتمرِّس في إعمال المقاصد، فعن صَفِيَّةَ بنت أبي عُبَيْدٍ زوجة عبد الله بن عمر قالت:« زُلْزِلَتِ الْمَدِينَةُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَا هَذَا؟ مَا أَسْرَعَ مَا أَحْدَثْتُمْ، لَئِنْ عَادَتْ لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا »[5].

وفي لفظ آخر؛ عَنْ نافع عن صَفِيَّةَ ابنة أبي عُبَيْدٍ، قال:« زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ حَتَّى اصْطَفَقَتْ السُّرُرُ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَهُوَ يُصَلِّي فَلَمْ يَدْرِ، قَالَ: فَخَطَبَ عُمَرُ لِلنَّاسِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لَقَدْ عَجِلْتُمْ، قَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: لَئِنْ عَادَتْ لَأَخْرُجَنَّ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيكُمْ »[6].

---

(1) ـ سورة الأعراف، الآية/77- 78.

(4) ـ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (تحقيق: سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م)، (442/3).

(3) ـ سورة الأعراف، الآية/90-91.

(6) ـ ابن بطَّال، شرح صحيح البخاريّ، (تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرُّشد، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعودية، ط2، 1423هـ، 2003م)، (26/3).

(7) ـ ابن أبي الدُّنيا، العقوبات، (تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 1996م)، باب أسباب العقوبات وأنواعها، (ص/31)، وابن كثير، مسند الفاروق، (تحقيق: إمام بن علي إمام، دار الفلاح، مصر، ط1، 1430هـ، 2009م)، (322/1)، وقال:" **إسناد صحيح** ".

(1) ـ ابن أبي شيبة، المصنَّف، (تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرُّشد، ط1، 1409هـ)، باب في الصلاة في الزلزلة، رقم (8335)، (221/2)، والبيهقيّ، السُّنن الكبرى، (تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ، 2003م)، كتاب صلاة الخسوف، باب لا يُصلى جماعة عند شيء من الآيات غير الشَّمس والقمر، رقم (6377)، (476/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقصد الثَّاني: تكفير ذنوب المُصابين والتَّجاوز عن سيِّئاتهم.

إنَّ ما تُخلِّفُه الزَّلازلُ والفيضانات من هَلاك في الأموال والمُمتَلكات، وتَلَف في الأرزاق والمكتسَبات، التي تمسُّ بمعيشة الأفراد والعائلات؛ إنَّما هي تكفير للأخطاء والسِّيئات، وتجاوز عن الزَّلات والهفوات، فهذه الأمَّة تُبتلى في الدُّنيا فتُرحم، وتَعرفُ قَدْرَ الابتلاء بالاحتساب والصَّبر على المصاب فلا تَأثم، ولذلكَ كانت أمَّة مرحومةً، فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ:« إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ، إِنَّمَا عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْقَتْلُ، والْبَلَابِلُ، وَالزَّلَازِلُ »[1].

فالحديثُ واضح الدّلالة على أنَّ ما يصيب هذه الأمَّة من حوادث ونكبات، وكوارث طبيعيَّة ومُدْلهِمَات؛ يكون كفَّارة لأصحابها في اليوم الآخَر، وممَّا يؤيِّد هذا المقصد أيضًا، ما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:« لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ** ﴾[2]، بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ:« قَارِبُوا، وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوِ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا »[3].

المقصد الثَّالث: إكرام بعض المؤمنين بجعلهم شهداء.

إنَّ من أبرز ما تُخلِّفه الزَّلازل إذا حَلَّت بديَّار مُعيَّنة هو هَدم البُنيان، وتقويض الدُّور على من فيها من السُّكان، فمن كان من القَتلى في هذه الكوارث الطَّبيعيَّة؛ فهو شهيد، ومنزلته محفوظة مع الشُّهداء، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:« الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[4].

---

(2) ـ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1421هـ، 2001م)، مسند أبي موسى الأشعري، رقم (19678)، (453/32)، وأبو داود، سنن أبي داود، (تحقيق: محمد محي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت)، كتاب الفتن والملاحم، باب ما يُرجى في القتل، رقم (4278)، (105/4)، والحاكم، المستدرك على الصَّحيحين، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م)، كتاب الفتن والملاحم، رقم (8372)، (491/4)، وقال:" **هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرِّجاه** "، والقضاعيّ، مسند الشِّهاب، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط2، 1407هـ، 1986م)، باب إنَّ أمتي أمَّة مرحومة، رقم (968)، (100/2).

والحديث صحَّحه الألباني. ينظر: محمد ناصر الدِّين الألباني، سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (مكتبة المعارف للنَّشر والتوزيع، الرِّياض، ط1)، رقم (959)، (648/2).

(2) ـ سورة النِّساء، الآية/123.

(4) ـ مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصِّلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يُصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يُشاكها، رقم (2574)، (1993/4).

(1) ـ البخاريّ، صحيح البخاريّ، كتاب الجهاد والسِّير، باب الشَّهادة سبع سوى القتل، رقم (2829)، (24/4)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشُّهداء، رقم (1914)، (1521/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن مات تحت هدم بنيان، أو انهارت عليه الجدران؛ بسبب الهزّات الأرضيَّة، أو الفيضانات العارمَة، فهو بمنزلة الشَّهيد الذي صَال بفرسه، وجال بسَيفه، في صدِّ الأعداء، إلاَّ أنَّه يُغسَّل ويُكفَّن ويُصلَّى عليه، قال النَّوويُّ:« واعلَم أنَّ الشَّهيد ثلاثة أقسامٍ **أحدها**: المقتول في حرب الكفار بسببٍ من أسباب القتالِ، فهذا له حُكمُ الشُّهداء في ثواب الآخرة وفي أحكام الدُّنيا، وهو أنَّه لا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه. **والثَّاني**: شهيدٌ في الثَّواب دون أحكام الدُّنيا، وهو المبطونُ، والمطعونُ، وصاحبُ الهدمِ، ومن قُتِلَ دون ماله، وغيرُهم ممَّن جاءت الأحاديث الصَّحيحة بتسميَّته شهيدًا، فهذا يُغَسَّلُ ويُصلَّى عليهِ، وله في الآخرة ثوابُ الشُّهداءِ، ولا يلزمُ أن يكون مِثلَ ثواب الأوَّل. **والثَّالث**: من غَلَّ في الغنيمة، وشبهه ممن وَرَدَتِ الآثارُ بنَفيِ تَسمِيَّتِهِ شهيدًا إذا قُتِلَ في حربِ الكفَّارِ، فهذا له حُكمُ الشُّهداء في الدُّنيا فلا يُغَسَّلُ ولا يُصلَّى عليه، وليس له ثوابهم الكامل في الآخرةِ. وَاَللَّهُ أَعْلَمُ »[1].

المقصد الرَّابع: الدَّعوة إلى التّوبة من الذُّنوب والأوبة إلى الله سبحانه.

إنَّ للمعاصي أثر عجيب في جَلْبِ المصائب والأهوال، وحُلول النِّقم وتتابع العقاب والآلام، من تقلُّبات في السُّنن الكونيَّة وقوانينها، وتحوُّلات في نمَط الحياة وطبيعتها، خاصَّة إذا عمَّ الفساد واسْتَشْرَى، وظهرت الفِتنُ واحدة تِلوَ الأُخرى، يقول ابن القيِّم:« ومن تأثير مَعاصي الله في الأرض **ما يَحِلُّ بها من الخَسْفِ والزَّلازِل، ويمحَقُ بركتَها**، وقد مَرَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – على دِيَار ثَمُودَ، فمَنعَهم من دخول ديارهم إلَّا وهم باكون، ومن شرب مياهِهم، ومن الاسْتِسْقَاءِ من آبارِهم، حتَّى أمَرَ أن لا يُعْلَفَ الْعَجينُ الذي عُجِنَ بمياههم للنَّواضح، لتأثير شُؤمِ المعصية في الماء، وكذلكَ شُؤم تَأثيرِ الذُّنوب في نقص الثِّمار، وما ترى به من الآفاتِ »[2].

ولذلك نُقل عن كعب الأحبار أنَّه قال:« **إنَّما زُلزلَتِ الأرض إذا عُمِلَ فيها بالمعاصي**، فَتُرْعِدُ فَرَقًا من الرَّبِّ جَلَّ جلالُه أن يطَّلعَ عليها »[3].

فمتى تبيَّن ذلكَ؛ أدرك العِباد أنَّ الله سبحانه ساخطٌ عليهم، غير راضٍ عن أفعالهم، فأنزل عليهم الزَّلازل والبراكين والإعصار، وابتَلاهُم بالخَسْفِ والفَيَضانات وما تَوَاتَر من أمطار، من أجل الاقلاع عن المعاصي والذُّنوب، والعودة الجادَّة إلى رحاب الشَّريعة الإسلاميَّة، والتمسُّك بنور الأحكام، وعدم تجاوز الحدود الشَّرعيَّة، والدَّليل على هذا المقصد قوله سبحانه: ﴿ **ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[4].

والمراد بالفساد في الآية؛ اختلال مجرى الحياة العادية من: أهوال ومَصائب وغَلاء، وأمراض وأعراض وبَلاء، وتلوُّث وزلازل وكوارث، وغيرها من الحوادث، إلاَّ أنَّه جلَّ وعَلا لا يجازيهم بكلِّ أعمالهم، قال سبحانه: ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا**

(2) ـ النَّووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج، (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط2، 1392هـ)، (164/2).
(3) ـ ابن القيِّم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدَّواء الشَّافي أو الدَّاء والدَّواء، (دار المعرفة، المغرب، ط1، 1418هـ، 1997م)، (ص/65).
(3) ـ ابن القيِّم، المصدر نفسه، (ص/47).
(4) ـ سورة الروم، الآية/41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ ﴾[1]. وإنَّما المُؤاخذة ببعض الأعمال لعلَّهم يتوبون إلى ربِّهم[2]، فمن:« فضل الله على النَّاس أنَّه حينما ينزل البأساء والضَّراء بهم؛ لا يريد أن ينتقمَ منهم، ولكن ليُعلِّمهم، وليُنبِّههم، وليُذكِّرهم »[3]، بهذا المقصد الجليل، والدَّرس العظيم، وهو البدار إلى التوبة النَّصوح وتحقيق الإجابة، ومراجعة ما هُم عليه والإنابة، فتصير المحنة مِنْحَةً، وتنقلبُ البَلِيَّة عَطِيَّةً، لمن فَهِمَ عن الشَّارع الحكيم قصده.

وقد فَقِهَ هذا المقصد الخليفة عمر بن عبد العزيز، فكان يكتبُ إلى عُمَّاله في الأمصار، ويضربُ لهم مَوعدًا في ذلكَ، يتواصوا فيه بالذِّكر والاستغفار، وإظهار الافتقار للواحد الجبَّار، فعن جعفر بن بُرْقَانَ قال:« كتبَ إلينا عمر بن عبد العزيز: إنَّ هذا الرَّجْفَ شيءٌ يُعاقِبُ الله به العبادَ، وقد كتبتُ إلى أهل الأمصار أن يخرُجوا يومَ كَذَا وكَذَا، في شهر كَذَا وكَذَا، في ساعة كَذَا وكَذَا، فاخرُجوا، ومن أراد منكم أن يتَصدَّقَ فليَفعَل، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ ﴾[4]، وقولوا كما قال أبوكم ــ يعني آدم ــ عليه السَّلام: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[5]، وقولوا كما قال نوحٌ ــ عليه السَّلام ــ: ﴿ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[6]، وقولوا كما كما قال موسى ــ عليه السَّلام ــ: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[7]، وقولوا كما قال ذو النُّون ــ عليه السَّلام ــ: ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[8] »[9].

فمِمَّا يؤخذ من فِعْل هذا الخليفة الرَّاشد أنَّه:« أمرَ ــ رحمَه الله ــ الرَّعية بالالتجاء إلى الله تعالى، والتَّصدُّق، والاستغفار، والخروج إلى المصلى، عندما حصلت الزِّلزلة بالشَّام »[10].

المقصد الخامس: التَّذكير بقرب السَّاعة.

---

(1) ـ سورة النَّحل، الآية/61.

(2) ـ ينظر: يوسف القرضاوي، خطب الشَّيخ القرضاوي، عنوان الخطبة:" زلزال مصر "، (98/1).

(3) ــ يوسف القرضاوي، خطب الشَّيخ القرضاوي، عنوان الخطبة :" زلزال مصر "، (98/1).

(4) ـ سورة الأعلى، الآية/14- 15.

(5) ـ سورة الأعراف، الآية/23.

(6) ـ سورة هود، الآية/47.

(7) ـ سورة القصص، الآية/16.

(8) ـ سورة الأنبياء، الآية/87.

(9) ـ ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، (تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط6، 1404هـ، 1984م)، (ص/64)، وأبو نعيم الأصبهانيّ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (دار السَّعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ، 1974م)، (304/5).

(10) ـ علي محمد الصَّلاَّبي، الدَّولة الأمويَّة عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، (دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ، 2008م)، (170/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ الله سبحانه وتعالى وَضَعَ بين يدي السَّاعة علامات، تدلُّ على اقترابِ أجَلها، ودُنُوِّ نهاية الحياة الدُّنيا ومَلذَّاتها، ومن هذه العلامات التي جاءت النُّصوص النَّبوية ببَيانها، كثرة الزَّلازل وتتابعها، وظهور الفتن وتلاحقها، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النَّبيُّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ:« لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ – وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ – حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ »[1].

وعن سَلَمَة بن نُفَيْلٍ السَّكُونيّ، قَالَ: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:« بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مُوَتَانٌ شَدِيدٌ، وَبَعْدَهُ سَنَوَاتُ الزَّلَازِلِ »[2].

وعن عبد الرَّحمن بن صُحَارٍ العَبْدِيِّ، عن أبيه قال: قال رسول ـ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ـ:« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخْسَفَ بِقَبَائِلَ مِنَ العَرَبِ، فَيُقَالُ: مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي فُلَانٍ »[3].

فهذه الأحاديث صريحة في كون كثرة الزَّلازل وتتابعها، من علامات قُرب السَّاعة ودنوِّ أجَلها، وفي هذا المقصد تذكير بالمصير المحتوم، الذي يجبُ أن لا يغفل عنه المؤمنون، وفيه لفت للانتباه عن معرفة الحِكمة من هذا الوجود.

المقصد السَّادس: أخذ الدُّروس والعِبَر ممَّن غبَر.

إنَّ على الكيِّس الفَطِن أن يتعلَّمَ من غَيره، ويتَّعظَ بما أصابهم الله من الزَّلازل والعقوبات، وبما أنزل عليهم من الآيات، وما حلَّ بهم من المَثُلات، ينبغي أن يتَّخذ هذه الأهوال والنَّكبات بعين الاعتبار، فيأخذ ما فيها من الدُّروس والعِبَر، وما تحمِلُه في طيَّاتها من قِيَم ودُرر، قال ابن القيِّم:« والعِظَة نوعان: عِظَةٌ بالمسْموعِ، وعِظَةٌ بالمشهودِ، **فالعِظَةُ بالمسموع**: الانتفاعُ بِما يَسمَعُه من

---

(1) ـ البخاريّ، صحيح البخاريّ، كتاب الصَّلاة، أبواب الاستسقاء، باب ما قيل في الزَّلازل والآيات، رقم (1036)، (33/2).

(2) ـ أحمد، مسند أحمد، مسند سَلمة بن نُفَيْل السَّكونيّ، رقم (16964)، (163/28)، والدَّارميّ، مسند الدَّارميّ، (تحقيق: حسين سليم أسد الدَّاراني، دار المغني للنَّشر والتَّوزيع، المملكة العربية السُّعودية، ط1، 1412هـ، 2000م)، باب ما أُكرم النَّبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنزول الطَّعام من السَّماء، رقم (56)، (200/1)، وابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، (تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الرَّاية، الرياض، ط1، 1411هـ، 1991م)، سَلمة بن نُفَيْل السَّكوني، رقم (2461)، (412/4)، والطَّبرانيّ، معجم الشَّاميين، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط1، 1405هـ، 1984)، رقم (687)، (396/1)، والطَّبراني أيضًا، المعجم الكبير، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، مكتبة ابن تيميَّة، القاهرة، ط2، د.ت)، سَلمة بن نُفيل السَّكوني ثمَّ التراغمي، رقم (6356)، (51/7). **والحديث صحَّحه الألباني**. ينظر: الألباني، التَّعليقات الحسان على صحيح ابن حبَّان وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذه من محفوظه، (دار با وزير للنَّشر والتَّوزيع، جدَّة، المملكة العربية السُّعودية، ط1، 1424هـ، 2003م)، ذكر الأخبار عن وجود كثرة الزَّلازل في آخر الزَّمان، رقم (6739)، (424/9).

(3) ـ ابن أبي شيبة، مصنَّف ابن أبي شيبة، من كره الخروج في الفتنة وتعوَّذ منها، رقم (37212)، (459/7)، وأحمد، مسند أحمد، حديث صُحار العبديّ، رقم (15956)، (313/25)، ورقم (20340)، (449/33)، وابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، صُحار بن عبد القيس ـ رضيَ الله عنه ـ، رقم (1652)، (271/3)، وأبو يعلى الموصليّ، مسند أبي يعلى الموصليّ، (تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404هـ، 1984م)، حديث صُحار، رقم (6834)، (219/12)، وقال محقِّقُه:" **إسناده جيِّد** "، والطَّبرانيّ، المعجم الكبير، صُحار بن عبَّاس ويقال ابن عبَّاس العبديّ، رقم (7404)، (73/8)، والحاكم، المستدرك على الصَّحيحين، كتاب الفتن والملاحم، رقم (8375)، (492/4)، وقال:" **هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرِّجاه** ". وقال الهيثميّ:" **رواه أحمد والطَّبرانيّ وأبو يعلى والبزَّار، ورجاله ثقات** ". مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد، (تحقيق: حسام الدِّين القدسيّ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، 1414هـ، 1994م)، (09/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهدى والرُّشْدِ، والنَّصائح التي جاءت على لسان الرُّسل وما أوحيَ إليهم، وَكذلكَ الانتفاعُ بالعِظَة من كلِّ ناصحٍ ومُرشدٍ في مصالح الدِّين والدُّنيا. **والعِظة بالمشهودِ**: الانتفاع بما يراه ويشهدُه في العالَم من مواقِعِ الْعِبَرِ، وأحكام القَدَرِ، ومَجاريهِ، وما يشاهدُهُ من آيات الله الدَّالَّةِ على صِدْقِ رُسُلِهِ »[1].

وهذا المقصد تظافرت في بيانه الآيات، منها قوله سبحانه: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

وقال جلَّ وعلا مُنبِّها على مقصد الاعتبار بما يرسله على عباده من عقاب، وما ينزل عليهم من ألوان العذاب، كالزَّلازل والفيضانات والاعصار، والرِّيح والخَسْفِ وما تخلِّفه من دمار، ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[3]. ومعنى هذه الآية أنَّه:« توبيخ لهم على قَسْوَة قلوبهم، وانطماس بصيرتهم، وغفلتهم عمَّا يدعو إلى الاعتبار والاتِّعاظ، أي: أبَلَغَ الجهل والسَّفه وعمى البَصيرة بهؤلاء، أنَّهم صاروا لا يَعتَبِرون، ولا يتَّعظون، بما حاق من فِتَن، واختبارات، وابتلاءات، تنزل بهم في كلِّ عام مرَّة أو مرَّتين؟ »[4]، والقصد من:« المرَّة والمرَّتين على ما صرَّح به بعضُهم مجرَّد التَّكثير، لا بيان الوقوع على حسب العَدد المَزبور ... »[5].

وقد أرشد النَّبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى وجوب الاعتبار، والحذر من غضب الواحد القهَّار، فعن ابن شِهابٍ، وَهُوَ يَذْكُرُ الْحِجْرَ، مَسَاكِنَ ثَمُودَ، قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: « إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ »[6].

ففي الحديث دلالة واضحة في النَّهي عن دخُول البِقاع التي دمَّرها سبحانه وتعالى، وأنزل العذاب بأهلها، وعاقبَ بالآيات قاطنيها، خشية أن يصيبَهم مثل ما أصابهم، أو يلحقهم من العار والشَّنار والدَّمار ما لحق بأولئك المنحرفين، إلاَّ إذا كان

---

(1) ـ ابن القيِّم، مدارج السَّالكين بين إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين، (تحقيق: محمَّد المعتصم بالله البغداديّ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ، 1996م)، (443/1).

(2) ـ سورة النحل، الآية/ 45-47.

(3) ـ سورة التوبة، الآية/126.

(4) ـ محمَّد سيِّد طنطاوي، التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم، (دار نهضة مصر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، الفجالة، القاهرة، ط1، د.ت)، (431/6).

(5) ـ شهاب الدين محمود الآلوسيّ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، (تحقيق: علي عبد الباري عطيَّة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1415هـ)، (48/6).

(6) ـ البخاريّ، صحيح البخاريّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾. سورة الأعراف، الآية/73، رقم (3380)، (149/4)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الزُّهد والرَّقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاَّ أن تكونوا باكين، رقم (2980)، (2286/4)، واللَّفظ له.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدُّخول إليها للاتِّعاظ بحالهم، والخوف من مآلهم، والحذر من إتيان ما يُشبِه أفعالهم، فحينئذٍ لا بأس بهذا القصد، فالأمور بمقاصِدها، والأعمال بنيَّاتها، والزِّيارات يُنظر فيها إلى أبعادها.

ويُشير ابن رجب الحنبليّ إلى هذا المقصد العظيم؛ فيقول:« هذا الحديث: نصٌّ في المنع من الدُّخول على مواضع العذاب، **إلاَّ على أكمل حـالات الخشـوع والاعتبـار**، وهو البُكاء من خشية الله، وخوف عقابه الذي نزَلَ بمن كان في تلكَ البُقعة، وأنَّ الدُّخول على غير هذا الوَجْهِ يخشى منه إصابة العذاب الذي أصابَهم.

وفي هذا تحذير من الغَفلة عن تدبُّر الآيات، فمن رأى ما حَلَّ بالعُصاة ولم يتنبَّه بذلكَ من غَفْلَتِهِ، ولم يتفكَّر في حالِهم، ويعتبر بهم؛ فليحذر من حُلول العُقوبة به، فإنَّما إنَّما حَلَّت بالعُصاة لغَفْلَتِهم عن التَّدبُّر، وإهمالهم اليَقَظة والتَّذكُّر »[1].

وقال ابن حجر العسقلاني مُعلِّقًا على الحديث:« ووَجْهُ هذه الخَشيَة أنَّ **البُكـاءَ يَبْعَثهُ على التَّفكُّر** والاعتبـارِ، فكأنَّه أمرَهُم بالتَّفكُّر في أحوالٍ تُوجِبُ البُكاءَ من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تَمكينِهِ لهم في الأرض، وإمْهَالِهم مُدَّةً طويلةً ثمَّ إيقاع نِقْمَته بهم، وشِدَّةِ عذابه، وهو سبحانه مُقلِّبُ القلوب، فلا يَأمَنُ المؤمن أن تكون عاقبَتُه إلى مثل ذلكَ، والتَّفكُّرُ أيضًا في مُقابلة أولئكَ نِعمَةَ الله بالكفر، وإهمالهم إعْمالَ عُقُولهم فيما يوجب الإيمانَ به، والطَّاعةَ له، فمن مَرَّ عليهم ولم يتفكَّر فيما يوجبُ البُكاءَ اعتبارًا بأحوالهم؛ فقد شابهم في الإهمالِ، ودَلَّ على قَساوَةِ قلبه، وعدمِ خُشوعه، فلا يأمنُ أن يجُرَّهُ ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابَهم »[2].

فالحديث الشَّريف ينهى المؤمن عن الذَّهاب لديَّار ثمود من أجل التَّفرُّج على مَساكنهم، أو الاعجاب بهم، إلاَّ من « **يذهب للعِبرة، ويكون باكيًا عند مُروره بتلكَ الأمـاكـن**، فإن لم يكن باكيًا فإنَّه لا يجوز أن يدخلَ عليهم؛ لأنَّه ربَّما يصيبه ما أصابَهم، ولمَّا مَرَّ النَّبيُّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بواديهم قَنَّعَ رأسَه، يعني: خَفَضَهُ، وأسرعَ السَّيرَ حتَّى تجاوز الوادي، وبه نعرف خَطَأ هؤلاء الذين يذهبون إلى ديَّار ثمود للتَّفرُّج والتَّنزُّه، ويبقون فيها أيَّامًا، ينظرون آثارهم القَديمة، فإنَّ ذلكَ مَعصيَّة للرَّسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ومخالفة لِهَدْيِهِ وسُنَّتِهِ، فإنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم لمَّا مَرَّ بهذه الدِّيار أسرع وقَنَّعَ رأسَه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حتَّى جاوَزَ الوادي، وحَذَّرَ من أن يسكنَ الإنسان في مساكن الذين ظلموا أنفسَهم، والذين أهلكَهم الله في هذه الأرض، خَوْفًا أن يصيبَ الإنسان ما أصابهم من عذاب الله »[3].

والحِكمة في ذلكَ:« أنَّ من دَخَلها مُعجبًا بها، وأخذ يمدحهم، ويشيدُ بقوَّتهم، ويُثني عليهم، فإنَّه يُعتبرُ مُقِرًّا لهم على كُفرهم وتَكذيبهم، وعلى عُتُوِّهم وعِنادهم، وعِصيانهم لنَبيِّهم، وعَقرهم للنَّاقة، ومن أُعْجِبَ بهم وأثنَى عليهم، خِيفَ عليه أن يمسَّه ما مسَّهم، أو أن يحشره الله معهم، وهذا الحُكم يعمُّ مساكن غيرهم، ممَّن نزل بهم عذاب من السَّماء بسبب كُفرهم وعِنادهم،

(1) ـ ابن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، (تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنوَّرة، ط1، 1417هـ، 1996م)، (237/3).

(2) ـ ابن حجر العسقلانيّ، فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، (رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدِّين الخطيب، عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ)، (531/1).

(3) ـ محمَّد بن صالح العُثَيمين، شرح رِيَاض الصَّالحين، (دار المستقبل للطِّباعة والتَّوزيع، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1426هـ، 2005م)، (78/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبقيَ بعدهم أثرٌ لأفعالهم، كالأبنيَة الشَّاهقة، ويعمُّ ذلكَ إذا سلَّط الله عليهم من أَهْلَكَهُم وأبادَ مُلْكَهم، وبقيت بعدهم آثارُهم، فقد ذكر ابن كثير قصَّة سابور ذو الأكتاف[1]، وكيف هَلَكَ ولم يحصِّنهُ ما بناه من الحُصون حتَّى أصبحت بعده مَأوى للطُّيور، ونظم ذلكَ بعضُهم في شعر، يقول فيه[2]:

وَأَخُـو الْحَضْرِ إِذْ بَنَـاهُ وَإِذْ * دِجْلَـةُ تُجْـبَى إِلَيْهِ والخَـابُورُ
شَـادَهُ مَرْمَـرًا وَجَلَّلَهُ كِـلْسًا * فَلِلطَّيْـرِ فِـي ذُرَاهُ وُكُـورُ

وهكذا أبنيَّة الأهرام بمصر ونحوها، فمن زارها على وجه الاعتبار، والتَّذكُّر والنَّظر في عاقبة تلك القوَّة التي ما أغنت عن أهلها شيئًا، وأخذ الموعظة أنَّ الموت بالمرصاد، وأنَّ على الإنسان أن تكون رغبته في الآخرة؛ فإنَّه يستفيد، وأمَّا من يزورها للإعجاب والإكبار، وغِبْطَة أهلها، وتمنِّي مثل حياتهم وقوَّتهم؛ فإنَّ ذلك ممَّا يخاف عليه أن يُصيبَه ما أصابهم »[3].

المقصد السَّابع: الدَّعوة إلى العدل وتحقيقه ونبذ الظُّلم ومَحقه.

إنَّ من أسباب حُلول السُّيول الجارفة، ونزول الفيضانات المدمِّرة، وكثرة الطوُّفان والبراكين؛ هو تفشّي الظُّلم وانتشاره، وهَيمنة الطُّغيان بين العباد وشُيوعه، فمتى كثُر ذلكَ وعمَّ في بلد من البلدان، عاقبَهم الله بما شاء من الآيات المخيفة، مُذكِّرًا لهم بقُدرته وحسابِه، ومُرشدًا أيَّاهم إلى إقامة العدل في الأرض وبين عبادِه، ومحذِّرًا من الظُّلم وأسبابِه، فعن أبي موسى الأشعريّ ــ رضيَ الله عنه ــ، قال: قال رسول الله ــ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ــ:« إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[4] »[5].

فالمقصد من هذه الزَّلازل والآيات، هو الدَّعوة إلى إقامة العدل بجميع أنواعِه، والحرص على بزوغهِ واتِّساعِه، والدَّفع عن المظلومين في جميع المجالات، ونُصرة المضْطَهَدين بمختلف الوسائل والطُّرقات، والسَّعي إلى وَأْدِ الظُّلم في مَهْدِه، وعدم السَّماح بظهوره، ووجوب رَدِّه، فمتى تخلَّى العباد عن العدل وأنواره، وعَمَدُوا إلى الظُّلم وأوزاره، وأمُّوا وُجُوهَهم نحو الطُّغيان وساهموا في انتشاره؛ فالله عزَّ وجلَّ ينزل عليهم الطُّوفان، وينذرهم بالخَسْفِ والبُركان، وغيرها من ألوان العذاب، الدَّالة على سخط ربِّ الأرباب سبحانه وتعالى.

---

(1) ــ ينظر: ابن كثير، البداية والنِّهاية، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ، 1997م)، (172/3).

(2) ــ قائله هو: عديُّ بن زيد. ينظر: ابن هشام، السِّيرة النَّبوية، (تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1375هـ، 1955م)، (71/1).

(3) ــ عبد الله الجبرين، أحكام السِّياحة ونصائح وتوجيهات للسَّائحين والسَّائحات، (أعدَّها للنَّشر: سُليمان بن صالح الخرشيّ، د.ط، د.ت)، (ص/62-63).

(4) ــ سورة هود، الآية/102.

(5) ــ البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾، سورة هود، الآية/102، رقم (4686)، (74/6)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصِّلة والآداب، باب تحريم الظُّلم، رقم (2583)، (1997/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليه؛ يمكن القول بأنَّ الله ينزل على الأمم الظَّالمة العذابَ الدَّنيويَّ، وهو:« العذابُ الذي يصيب الأُممَ التي فسدت أخلاقُها، وساءت أعمالُها، وكابَرَت الحقَّ والعدلَ، وأَلِفَتِ الفسادَ والظُّلمَ، وهو على قِسمين: **عذابٌ هو أثرٌ طبيعيٌّ اجتماعيٌّ**، للحال التي يكون عليها المُبطِلونَ، بحَسَبِ سُنَّة الله في الاجتماع البشريِّ، وهو خُذلانُ أهل الباطل والإفساد، وانكسارُهم، وذهابُ استقلالهم بنصر أهل الحقِّ، والعدل عليهم، وتمكينهِم من رقابهم، ودِيارهم، وأموالهم، ليَحُلَّ الإصلاح محلَّ الإفساد، والعدلُ مكان الظُّلم، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾[1]، **وعذابٌ لا يكون أثرًا طبيعيًّا؛ بل يُسمَّى: سُخْطًا سَماويًّا**، كالزِّلزال، والخَسْفِ، والطُّوفان، وغير ذلك من الجوائح المُدمِّرة التي نزلت ببعض أقوام الأنبياء الذين كفروا بهم، وكذَّبوهم، وآذَوْهم »[2].

المقصد الثَّامن: تنبيه الخلق على قدرة الله وجلال عظمته.

ما يرسله الله على العباد من مختلف الهزَّات الأرضيَّة، والكوارث الطَّبيعيَّة، فيها غاية عُظمى، وحِكمة كُبرى، في التَّأكيد على قدرة الله سبحانه وقوَّتِه، حتَّى يؤمنَ الجاحد المشرك، ويوقنَ المرتاب المشكِّك، بقدرة خالق الكون وعَظمتِه، وهَيْمَنتِه وجَبروتِه، وليزداد المؤمن إيمانًا وتصديقًا، بأنَّ الله قادر على كلِّ شيء، ولا يعجز عن شيء، قال جلَّ وعلا: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾[3]، ومعنى الآية أنَّ:« الله لا يعجزه ولا يفوته أو يسبقه شيء، إذا أراد حدوثه في السَّموات والأرض، فلن يُعجزَه هؤلاء المُشركون المُكذِّبون لرسوله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ولن يُفْلِتُوا من عقابه؛ لأنَّ الله تعالى عليمٌ بجميع الكائناتِ، لا يَخْفَى عليه شيء، قديرٌ لا يصعبُ عليه أمر، فهو يعلمُ المستحق للعقوبة، قادرٌ على الانتقام منه، في أيِّ وقت أو مكان شاء »[4].

وممَّا يعضِّد هذا المقصد ويزيده بيانًا، ما جاء عن جابر بن عبد الله ــ رضيَ الله عنه ــ، قال: « لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾[5]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ، قَالَ: ﴿ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴾[6]، قَالَ: أَعُوذُ بِوَجْهِكَ، قال: ﴿ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ﴾[1]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: هَذَا أَهْوَنُ، أَوْ هَذَا أَيْسَرُ »[2].

---

(1) ــ سورة هود، الآية/102.

(2) ــ محمَّد رشيد رضا، تفسير المنار، (الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، د.ط، 1990م)، (241/4)، ومصطفى المراغي، تفسير المراغي، (شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1365هـ، 1946)، (158/4-159).

(3) ــ سورة فاطر، الآية/44.

(4) ــ وهبة الزُّحيلي، التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، (دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ)، (283/22-284).

(5) ــ سورة الأنعام، الآية/65.

(6) ــ سورة الأنعام، الآية/65.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيمكن إيجاز الكلام بالقول بأنَّ الزِّلزال يأتي ـ أيضًا ـ:« تنبيهًا للنَّاس، تنبيهًا للغافلين، وإيقاظًا للنَّائمين، أراد الله أن ينبِّههم إلى أشياء، أن ينبِّههم على **طلاقة القدرة الإلهية، ونفوذ المشيئة الإلهية**، أنَّ الله سبحانه وتعالى إذا أراد أمرًا فإنَّه يقول له: كن فيكون، تتزلزل الأرض، وتهيج الرِّياح، وتفيض المياه، وتغرق الأنهار والبحار، ويتحرَّك كلُّ شيء أراده الله أن يتحرَّك، ويسكن كلُّ شيء أراد الله يسكن، لا بدَّ للنَّاس أن يعرفوا مدى طلاقة القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء »[3].

وعند التدبُّر في آيات الله الكونية، وما يُجريه سبحانه في هذا الوجود من أشياء بقدرته، نجدها تدلُّ على أنَّه واحد في ذاته، وأحد في أفعاله، لا يُجارى في التَّدبير، ولا يحتاج إلى مُعين في التَّسيير، له كامل القدرة على القَهر والتَّصريف والتَّسخير، ما شاء جعله بإذنه مُؤثِّرًا وما شاء سَلَبَهُ التَّأثير، وهو على كلِّ شيء قدير، فكانت له وحده العبوديَّة، ودانت له الرِّقاب بالألوهيَّة.

وفي هذا يقول ابن القيِّم:« ثمَّ قدَّر تَعَالَى أشياء أخرى تمانع هذه الأسباب عند التَّصادم وتدافعها، وتقهر مُوجبهَا ومقتضاها؛ ليظهر عليها أثر القهر والتَّسخير والعبوديَّة، وأنَّها مُصرَّفة مُدبَّرة بتصريف قاهر قَادر كيف يشاء؛ ليدلّ عبادَه على أنَّه هو وَحْدَهُ الفَعَّال لما يُريد لخَلْقِهِ كيف يشاء، وأنَّ كلَّ ما في المملكة الإلهيَّة طَوع قُدْرَتِهِ، وتحت مَشيئَتِهِ.

وأنَّه ليس شيء يستَقلّ وَحْدَه بالفِعل إلَّا الله، وكلُّ ما سِواهُ لا يفعل شيئًا إلَّا بمشارك ومُعاون، وله ما يُعاوِقُهُ ويُمَانِعُهُ، ويسلبه تأثيرَه، فتارةً يسلب سبحانه النَّار إحراقها، ويجعلها بَرْدًا، كما جعلها على خليله بَرْدًا وَسَلَامًا، وتارةً يمسك بين أجزاء الماء فلا يتلاقى، كما فعل بالبحر لمُوسَى وقومه، وتارةً يشقُّ الأجرام السَّماوية، كما شَقَ القمَر لخاتم أنبيائه ورُسُلِهِ، وفتح السَّماء لمصعده وعروجه، وتارةً يقلبُ الجماد حيوانًا، كما قَلَبَ عَصَا مُوسَى ثُعْبَانًا، وتارةً يُغيِّر هذا النِّظام، ويُطلع الشَّمس من مَغْرِبها، كما أخبر به أصدق خَلْقِهِ عنه.

فإذا أتى الوقت المعلوم؛ فشَقَّ السَّماوات وفَطَرَها، ونَثَرَ الكواكب على وجه الأرض، ونَسَفَ جبال العالم ودَكَّهَا مع الأرض، وكَوَّرَ شمسَ العالم وقمرَه، ورأى ذلك الخلائق عيَانًا، ظهر للخلائق كلِّهم صِدْقُه، وصِدْقُ رُسُلِه وعموم قُدْرَتِهِ وكمالها، وأنَّ العالم بأَسْرِهِ مُنقاد لمشيئتِهِ طَوع قُدْرَتِهِ، لا يستعصي عليه انفعاله لما يشاؤه ويريده منه، وعَلِمَ الذين كفروا وكذَّبوا رُسُلَهُ من الفلاسفة، والمنجِّمين، والمُشركين، والسُّفهاء الذين سَمُّوا أنفسَهم الحُكماء أنَّهم كانوا كاذبين »[4].

المقصد التَّاسع: الابتلاء والاختبار للعباد.

من أبرز المقاصد التي تُستخلَص من وُقوع الزَّلازل وتلاطُمِها، وتتابعِ الفيضانات وتلاحُقِها، ابتلاء العباد واختبارهم، في جميع أحوالهم وأَحْلَك ظروفهم، ليتميَّز الخبيث من الطَّيِّب، وليستبين الصَّادق من الكاذب، فهي فتنةٌ تَفْرُقُ بين المخلِص في إيمانه والمتَّبع لشيطانه، وقد جاءت الكثير من الآيات القرآنيَّة في بيان الفتن وأنواعها، مُبيِّنةً المقصد الرَّئيس من ابتلاء الله لعباده بها،

---

(1) ـ سورة الأنعام، الآية/65.

(8) ـ البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ ، سورة الأنعام، الآية/65، رقم (4628)، (56/6).

(3) ـ يوسف القرضاوي، خطب الشَّيخ القرضاوي، عنوان الخطبة " زلزال مصر "، (91/1).

(4) ـ ابن القيِّم، مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ط، د.ت)، (163/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال سبحانه: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[1]، ثمَّ قال بعدها بآيات: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[2]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[3].

فالله عزَّ وجلَّ يأخذ عباده بمزيج من السَّرَّاء والضَّراء، ومزيج من الأفراح والأتراح، لحِكمة بالغة، يعود نفعُها على العباد في المعاش والمعاد، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[4].

أمَّا الحِكمة في هذا المَزيج:« فهي ما ينبغي أن نعلمَه جميعًا من أنَّ الحياة الدُّنيا دار تكليف، وأنَّ الآخرة دار جزاء، ومن ثمَّ فإنَّ هذه الحياة التي نعيشها اليوم ممرّ إلى مقرّ، وإذن؛ فينبغي أن لا يكون فيها من المبهجات والنِّعم، وأسباب المتعة، ما يصفو عن المكدِّرات، والمنغِّصات، وشوائب الآلام، كي لا يتعلَّق المارُّون بها، أولئك الذين قَضَى الله أن يرحلوا عنها، وأن لا يلبثوا فيها إلاَّ قليلاً، ... إنَّها لو كانت صافية ـ مع هذا ـ من المنغِّصات، وتكاملت فيها النِّعم والخيرات، إذن لتعلَّق النَّاس بها تعلُّقهم بالجنَّة التي وُعدوا بها، ولَزَهِدُوا في تلك التي يقطعون إليها المفاوز، مستبدلين بها الجنَّة التي هي تحت أيديهم، يعيشون فيها، ويتقلَّبون في نعيمها »[5].

وعليه؛ فإنَّ:« هذه الدُّنيا دار تكليف وليست دار تشريف، ثمَّ إنَّها ممرّ إلى مقرّ، وليست موطن استقرار وبقاء، إذن فيجب أن يكون في دار التَّكليف ما يناسبها، ممَّا ينسجم مع عبوديَّة الإنسان لله، وأن لا يزيد نعيمها وخيراتها على بُلغة المسافر، وعلى ما تحويه استراحة الطَّريق »[6].

المقصد العاشر: إرشاد الإنسان إلى الاعتراف بقلَّة علمه ومعرفة قدر حَجْمِه.

من ناحية أخرى؛ من فوائد الزَّلازل والهزَّات الأرضيَّة أنَّها تهدي الإنسان إلى الإقرار بقلَّة علمِه؛ مهما حَصَّل من العُلوم والمعارف، وتقوده إلى معرفة قدر حَجْمِه؛ مهما أُوتِيَ من المراتب والمناصب العُليا، فأين هذا المخلوق الضَّعيف، المغرور بنفسه، الثَّاني لعطفه، المصعِّر لخدِّه، المتمطِّي برأسه، أين هو في هذا الكون الفسيح؟ إنَّه ليس شيئًا مذكورًا.

(1) ـ سورة العنكبوت، الآية/2-3.
(2) ـ سورة العنكبوت، الآية/11.
(3) ـ سورة الأنبياء، الآية/35.
(4) ـ سورة البقرة، الآية/155.
(5) ـ محمَّد سعيد رمضان البوطيّ، من سنن الله في عباده، (دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1435هـ، 2014م)، (ص/18).
(6) ـ محمَّد سعيد رمضان البوطيّ، من سنن الله في عباده، (ص/18).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الإنسان الذي تمكَّن من صنع الكمبيوتر، وغزو الفضاء، ووَصَلَ بعلومه إلى القمر، ووَقَفَ على سطحه، ويطمح بالصُّعود إلى كواكب أخرى، ولا يزال يريد تطوُّرات تَتْرَى، لكنَّه مع هذه الزَّلازل يقف مكتوف اليدين، لا يمكنه أن يضبطَ الوقت المناسب، ولا القوَّة المحتملة، ولا مكان الانفجار، ولا تقدير الخسائر، والقصد هو: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[1].

ينبغي على الإنسان أن يعرف قدر حَجْمِهِ، ومَدَى ضعف قوَّته، فالإنسان المغرور، المختال الفَخور، مهما استطاع أن يُذلِّل كثيرًا من الصُّعوبات، ويتحدَّى بعض النَّكبات، وكلّ ذلك بالتَّسخير الإلهيّ له في هذا الكون، إلاَّ أنَّه يظلّ ضعيفًا بالنِّسبة لقدرة الله وقوَّته، لا يقدر أن يحرك ساكنًا مع ما يجريه سبحانه من سنن كونيَّة، وظواهر طبيعيَّة؛ بل إنَّه كثيرًا ما يقف عاجزًا مَشْلولاً لا يستطيع أن يصنعَ شيئًا، فلا مناص من الاعتراف بالضُّعف، والاقرار بالعجز[2]. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾[3]، وقال أيضًا: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾[4].

المقصد الحادي عشر: الدَّعوة إلى التَّحلِّي بالتَّواضع والتَّخلِّي عن الكبر.

الكبر والتَّعالي، والفخر والخيلاء من الصِّفات الذَّميمة، التي حذَّرنا الله سبحانه منها في كتابه، ونهانا عنها في كلِّ حال خاصَّة بين عباده، ولقد كانت من وصايا لقمان الحكيم لابنه، قال سبحانه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾[5].

وهذه الصِّفة الذَّميمة هي من بين الأسباب التي تجلبُ على الخلق الزِّلزال والاعصار، والخسف والدَّمار، ولا أدلَّ على ذلكَ؛ ممَّا ذكرَه الله جلَّ وعلا في كتابه، وهو يقصُّ عاقبة قارون، وما أصابه بسبب تكبُّرِهِ في الأرض، وبَغْيِهِ على الخلق بغير حقّ، فكان جزاؤُه أن خَسَفَ الله الأرض به، قال سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ

(1) ـ سورة الإسراء، الآية/85.
(2) ـ ينظر: يوسف القرضاوي، خطب الشَّيخ القرضاوي، عنوان الخطبة " زلزال مصر "، (92/1).
(3) ـ سورة النساء، الآية/28.
(4) ـ سورة الشُّورى، الآية/31.
(5) ـ سورة لقمان، الآية/18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[1].

فهذا قارون، الذي قال ما قال على سبيل الفَخر والتَّعالي، والتَّكبُّر والتَّباهي، لم يكتف بما صَدَرَ منه؛ بل خرج على قومه في زينة عظيمة، وأبهة فخمَة، فانقسم النَّاس عليه إلى فريقين، ففريق: اسْتَهْوَتْهُ المظاهر والجواهر، فأصيب بالعجب والانبهار، وتمنَّى أن يكون له مثل ما رأى من زينة الدُّنيا وزخارفها، وجمالها ومالها، وفريق ثاني: هُم من أهل العِلم النَّافع، والإيمان القويّ، فقد قابلوا الفريق الأوَّل بالزَّجر والتَّعنيف. إلى أن جاءت عقوبة قارون، بعدما تجاوز الحدود في البغي والفخر، والخيلاء والتَّعالي، فخسف الله الأرض به وبداره.

فمن المقاصد المستنبطة من هذه القصَّة القرآنيَّة؛ أنَّ عاقبة الكِبر والتَّعالي وَخيمة، وأنَّ العجب بالأموال والأوصاف نذير سوء، لذلكَ كان من الغاياتِ النَّبيلة هُنا الدَّعوة إلى هضم الذَّات والتَّحلِّي بالتَّواضع، والتَّخلِّي عن الكِبر والتَّرفُّع[2].

المقصد الثَّاني عشر: تحقيق العبودية الاختيارية لله سبحانه.

من المسلَّمات أنَّ الإنسان عبد مملوك لله بواقعه الاضطراريّ، إلاَّ أنَّ المطلوب منه أن يبرز هذا الواقع الاضطراريّ في كيانه عن طريق سلوكه الاختياريّ، بمعنى أنَّ سلوك الإنسان ينبغي أن ينسجمَ مع هويَّته، حاله في ذلك حال لباسه الذي يتوجب أن يكون متناسقًا مه جسده.

وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشَّك؛ أنَّ الإنسان منفعل بصفات كثيرة يتمتَّع بها، وليس فاعلاً باختياره لشيء منها، ومثاله: أنَّه يتمتَّع بنعمة العقل والفكر، لكونه لا يملك سبيلاً للتَّصرف بهذه المزيَّة، فلا هو أوجدها في ذاته، وغرسها في كيانه، بإرادة ورغبة منه، ولا هو قادر على استبقائها لديه، وكذلك الحال مع نعمة النُّطق، فهو يتكلَّم ويعبِّر، ويبدي آراءً، ويتمتَّع بهذه المزيَّة، إلاَّ أنَّه منفعل بها غير فاعل لها بمحض إرادته، وما قيل في العقل والنُّطق، يقال في نعمة البصر والسَّمع، وهَلُمَّ جرًّا وسَحْبًا. وجميع هذه النِّعم باختلاف أدوارها وتعدُّد مهامها ستفارقه يومًا بانفعال قسري، كما تفتَّح كلُّ ذلك في كيانه بانفعال قسري.

فإذا ثبت أنَّ الإنسان عبد لهذا الذي يملك ذاته وصفاته، توجَّب عليه معرفة ذلكَ، فكان لِزامًا عليه أن يُخضع سلوكه الاختياريّ إلى ما يتَّفق مع واقع عبوديَّته الاضطراريَّة، لهذا الذي هو مِلْك يده، ولا مَفَرَّ له من سُلطانه، ولا يتحقَّق عبوديَّة الإنسان الاختياريَّة لله إلاَّ بأمرين: الشُّكر عند الرَّخاء، والصَّبر عند الابتلاء.

لكن ينبغي معرفة أنَّ تحقيق العبودية الاختياريَّة لله مرهونة بوجود المناخ الذي لا بدَّ منه حتَّى يكون هذا المقصد العظيم، ونعني به المناخ الذي يتقلَّب فيه الإنسان في مزيج من أسباب الرَّخاء، ومظاهر الضَّرَّاء، وتفسير ذلكَ؛ أنَّه إذا لم يتلقَ في حياته إلاَّ النِّعم وأسبابها، ولم يواجه المصائب وأهوالها، أو لم يتعرَّض للنَّكبات وأحزانها، فلا يمكنُه الوصول إلى المقصد الذي تكلَّمنا عليه[3].

---

(1) ـ سورة القصص، الآية/76-81.

(2) ـ ينظر: محمَّد سيد طنطاوي، التَّفسير الوسيط، (438/10-439)، وهبة الزُّحيلي، التَّفسير المنير، (169/20).

(3) ـ ينظر: محمَّد سعيد رمضان البوطي، من سنن الله في عباده، (ص/13-16).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنَّتيجة هي أنَّ:« الإنسان إذا تقلَّب في حياتهِ في مزيج من السرَّاء والضَّرَّاء، استيقظت مشاعر عبوديَّته لله بين جوانحه، فقادَهُ ذلك إلى الخضوع لسُلطان الله، والانقياد لشَرْعِهِ، فيغدو بذلك عبدًا لله بسلوكه الاختياريّ، في علاقته مع ربِّه، وعلاقته مع سائر النَّاس، فهل يكون له من سبيل عندئذٍ إلى ظلم الآخرين، أو انتقاصهم، أو سَلب شيء من حقوقهم، أو الإساءة إليهم؟ إنَّ سلطان العبوديَّة لله إذا هَيْمَنَ على مشاعر الإنسان طَرَدَ هذه الآفات كلّها من كيانه، وَمتَّعَهُ بالإنسانيَّة المُثلى، الصَّافية عن سائر الشَّوائب »[1].

ومن أبرز صوّر الضَّرَّاء التي يتعرَّض لها الإنسان، ويحتاج فيها إلى إيمان قوي، وصبر جميل، ورباطة جأش، هي الزَّلازل والبراكين، والخسف والاعصار، تتجلَّى فيها العبوديَّة الاختيَّاريَّة لله في أكمل صوَّرها، وأعلى منازلها، وسِرُّ ذلك أنَّها تتضمَّن جميع ألوان الابتلاء بين جوانحها، فتشمل: ابتلاء في الأهل، وابتلاء في المال، وابتلاء في النَّفس، فإذا أحسن المصاب التَّكيُّف معها، وفرَّ إلى ربِّه عند وقوعها، فاحتسب الأجر واستحضر أبرز مقاصدها، يكون قد حقَّق العبوديَّة الاختياريَّة في أبهى صوَّرها، وأكمل معانيها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[2].

المقصد الثَّالث عشر: تذكُّر زلزال يوم القيامة.

إنَّ ما يعيشه الإنسان أثناء الزِّلزال ـ في الحياة الدُّنيا ـ من ذُهول وحيرة، وما يغشاهُ من خوف وهَلَع، وما ينتابهُ من اضطراب وفَزَع، يبعثُه ذلك إلى تذكُّر الزِّلزال الأكبر، والقيامة التي لا مفرَّ منها، يوم الوقوف للحساب، قال سبحانه: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾[3].

فترى في زلازل الدُّنيا اليَسيرة، وفيضاناتها القليلة، المرأة تنزل مُسرعةً من بيتها، ناسيةً لأولادها وحتَّى رضيعها، فإذا تجَت بنفسها ورجعت إلى حالتها، وَجَدْتَها تسأل عن أُسْرَتها وما حلَّ بها، فكيف الحال بالزِّلزال الأعظم؟ قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾[4].

وعند وقوع بعض الهزَّات الأرضيَّة، منهم من يرمي بنفسه من أعالي العِمارات، أو يُلقي بأولاده من نوافذ المنازل إلى الشَّوارع والطُّرقات، وكلُّ واحد منهم يفرُّ باحثًا عن مكان يأويه، أو عن مرتفع يعصمه ويحميه، ذاهلاً عن أمَّه وأبيه، ناسيًا لابنه وأخيه،

(1) ـ محمَّد سعيد رمضان البوطيّ، من سنن الله في عباده، (ص/19).
(2) ـ سورة الأنبياء، الآية/35.
(3) ـ سورة الزلزلة، الآية/01-06.
(4) ـ سورة الحج، الآية/01-02.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ألا يذكِّره هذا باليوم الموعود، الذي قال فيه سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

فزلازل الدُّنيا تذكير باليوم العظيم، وتنبيه للعالمين على أحداث يوم الدِّين، التي ينبغي الإعداد الجيِّد لأهوالها، والتزوُّد الكامل لأحداثها، بداية من تذكُّرها وعدم نسيانها، وأخذ الدُّروس من زلازل الدُّنيا ومصائبها، للاستعداد ليوم القيامة وحسابها.

المقصد الرَّابع عشر: التَّنبيه على قيمة الدُّنيا.

ومن مقاصد الزَّلازل والبراكين، أن ينبِّه جلَّ وعلا عباده على قيمة الدُّنيا التي يتمسَّكون بها، ويحرصون عليها، ويلهثون وراءها في كلِّ وقت؛ بل ويتهافتون عليها تهافت الذُّباب على الشَّراب، ويتقاتلون عليها تقاتل الكلاب على الجِيَف، فحقيقتها أنَّها لا تساوي فِلسًا واحدًا.

يكون العبد في بيته، أو مع أهله وأحبابه، فلا يدري أنَّه بعد لحظات ينهدمُ عليه بيتُه، ويخرُّ عليه سَقْفُه، وبعد لحظات معدودات، يجد النَّاس قد ماتوا، والعُمران قد خَرِبَ، فما أقرب الموت من العبد، لكنَّه يتغافل عنه، فكان بحاجة للتَّذكير ليعرف قيمة الدُّنيا وزخارفها[2]. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

الخاتمة: وفيها أهمّ النَّتائج والتَّوصيَّات التي خرجت بها وَرقاتُ هذا البحث.

أوَّلاً النَّتائج: نخلُص في نهاية البحث إلى النَّتائج التَّالية:

1 ـ أنَّ الزَّلازل والبراكين والهزَّات الأرضيَّة، ونحوها من الكوارث الطَّبيعية، وإن كانت في ظاهرها عبارة عن صُور هَدم وتخريب، وتخويف وترهيب، إلاَّ أنَّها تحمل في طيَّاتها الكثير من الدُّروس والفوائد، والعِبر والمقاصد، التي تعود بالخير على العباد في المعاش والمعاد، وعليه يمكن القول أنَّ السُّنن الكونيَّة منها ما هو مُعلَّل ومعقول المعنى.

2 ـ أنَّ مقاصد السُّنن الكونيَّة من زلازل وهزَّات أرضيَّة، وغيرها من الكوارث الطبيعيَّة، هي خير حامل للإنسان على تحقيق العبوديَّة الاختيارية المحضَة لله سبحانه وتعالى، متى فهم مقاصدها، وفَقِه أبعادها.

3 ـ أنَّ كتب التَّفسير وشروح الحديث قد حشدت الكثير من مقاصد الشَّريعة في بطونها، وأشارت إلى أسرار الأحكام في معظم مباحثها، وإن لم تفردها بالتَّصنيف، أو تعمد إلى التَّصريح بها.

ثانيًا: التَّوصيَّات. تكمن فيما يلي:

(1) ـ سورة عبس، الآية/34-37.

(2) ـ ينظر: يوسف القرضاوي، خطب الشَّيخ القرضاوي، عنوان الخطبة " زلزال مصر "، (93/1).

(3) ـ سورة النَّحل، الآية/77.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1 ـ ضرورة الاهتمام بالدِّراسات المقاصدية الخاصَّة بالسُّنن الكونية، وإشباع البحث فيها، حتَّى يُتَصَدَّى للشُّبه التي تثار حولها، والتَّشكيك الذي يخالج بعض النَّاس في سِرِّ وجودها.

2 ـ توسيع البحث في جانب مقاصد السُّنن الكونية وأثرها الإيجابي على عقيدة المؤمن، وترسيخ عبوديَّته لله سبحانه وتعالى.

مصادر البحث ومراجعه:

- ابن أبي الدُّنيا، أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد البغداديّ الأمويّ القرشيّ (ت: 281هـ)، **العقوبات**، تحقيق: محمَّد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 1996م.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر ابن أبي شيبة عبد الله بن محمَّد خواستي العَبسيّ (ت: 235هـ)، **مصنَّف ابن أبي شيبة**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرُّشد، ط1، 1409هـ.
- ابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو الشَّيبانيّ (ت: 287هـ)، **الآحاد والمثاني**، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الرَّاية، الرِّياض، ط1، 1411هـ، 1991م.
- ابن بطَّال، أبو الحسين علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، **شرح صحيح البُخاريّ**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرُّشد، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعودية، ط2، 1423هـ، 2003م.
- ابن تيميَّة، تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم الحرَّاني (ت: 728هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرَّحمان بن محمَّد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف، المدينة المنوَّرة، المملكة العربيَّة السُّعودية، د.ط، 1416هـ، 1995م.
- ابن حَجر العسقلانيّ، أحمد بن علي بن حجر (ت: 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البُخاري**، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدِّين الخطيب، عليه تعليقات الشَّيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- ابن رجب الحنبليّ، زين الدِّين عبد الرَّحمان بن أحمد بن رجب بن الحسن السّلامي البغداديّ ثمَّ الدِّمشقيّ (ت: 795هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البُخاري**، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنوَّرة، ط1، 1417هـ، 1996م.
- ابن عبد الحكم، أبو محمَّد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصريّ (ت: 214هـ)، **سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه**، تحقيق: أحمد عُبيد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط6، 1404هـ، 1984م.
- ابن قيِّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدَّواء الشَّافي أو الدَّاء والدَّواء**، دار المعرفة، المغرب، ط1، 1418هـ، 1997م.
- ابن قيِّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**، تحقيق: محمَّد المعتصم بالله البغداديّ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ، 1996م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ابن قيِّم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد (ت: 751هـ)، **مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العِلم والإرادة**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ البصريّ (ت: 774هـ)، **البداية والنِّهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ، 1997م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ البصريّ (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ البصريّ (ت: 774هـ)، **مسند الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضيَ الله عنه وأقواله على أبواب العلم**، تحقيق: إمام بن علي إمام، دار الفلاح، الفيوم، مصر، ط1، 1430هـ، 2009م.
- ابن هشام، أبو محمَّد جمال الدِّين عبد الملك بن هشام بن أيُّوب الحميريّ المعافريّ (ت: 213هـ)، **السِّيرة النَّبوية**، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرون، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1375هـ، 1955م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث ابن إسحاق الأزديّ السّجستانيّ (ت: 275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق وتعليق: محمَّد محي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت.
- أبو نعيم الأصبهانيّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانيّ (ت: 430هـ)، **حلية الأولياء وطبقة الأصفياء**، دار السَّعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ، 1974م.
- أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التَّميمي (ت: 307هـ)، **مسند أبي يعلى الموصلي**، تحقيق: حسين سليم أسد الدَّاراني، دار المأمون للتُّراث، دمشق، ط1، 1404هـ، 1984م.
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل الشَّيباني (ت: 241هـ)، **مسند أحمد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1421هـ، 2001م.
- الألباني، أبو عبد الرَّحمان محمَّد ناصر الدِّين بن الحاج نوح بن نجاتي الأشقودريّ (ت: 1420هـ)، **سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فِقهها وفوائدها**، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، المملكة العربيَّة السُّعودية، ط1، د.ت.
- الألباني، أبو عبد الرَّحمان محمَّد ناصر الدِّين بن الحاج نوح بن نجاتي الأشقودريّ (ت: 1420هـ)، **التَّعليقات الحِسان على صحيح ابن حبَّان وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذّه من محفوظه**، دار با وزير للنَّشر والتَّوزيع، جدَّة، المملكة العربيَّة السُّعودية، ط1، 1424هـ، 2003م.
- الآلوسيّ، شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسنيّ (ت: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطيَّة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1415هـ.
- البُخاري، محمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفيّ (ت: 256هـ)، **صحيح البُخاري**، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر، دار طوق النَّجاة، ط1، 1422هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- بعداش بوبكر، **أثر الاختلاف في التَّعليل في الفقه الإسلاميّ**، دار الكلمة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1437هـ، 2017م.
- البوطيّ، محمَّد سعيد رمضان، **من سنن الله في عباده**، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1435هـ، 2014م.
- البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجرديّ الخراسانيّ (ت: 458هـ)، **السُّنن الكبرى**، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ، 2003م.
- الجبرين، عبد الله بن عبد الرَّحمان (ت: 1430هـ)، **أحكام السِّياحة ونصائح وتوجيهات للسَّائحين والسَّائحات**، أعدَّها للنَّشر: سليمان بن صالح الخرشي، د.ط، د.ت.
- الحاكم، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن محمَّد النِّيسابوريّ المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، **المستدرك على الصَّحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م.
- الدَّارميّ، أبو محمَّد عبد الله بن عبد الرَّحمان بن الفضل التَّميميّ السَّمرقنديّ (ت: 255هـ)، **مسند الدَّارميّ**، تحقيق: حسين سليم أسد الدَّاراني، دار المغني للنَّشر والتَّوزيع، المملكة العربيَّة السُّعودية، ط1، 1412هـ، 2000م.
- الزُّحيلي، وَهبة مصطفى (ت: 1436هـ)، **التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.
- السّيوطيّ، عبد الرَّحمان بن أبي بكر جلال الدِّين (ت: 911هـ)، **الدّر المنثور في التَّفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- الصَّلاَّبي، علي محمَّد محمَّد، **الدَّولة الأمويَّة عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ، 2008م.
- الطَّبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيُّوب اللَّخميّ الشَّاميّ (ت: 360هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، مكتبة ابن تيميَّة، القاهرة، ط2، د.ت.
- الطَّبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيُّوب اللَّخمي الشَّاميّ (ت: 360هـ)، **مسند الشَّاميِّين**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط1، 1405هـ، 1984م.
- الطَّبريّ، محمَّد بن جرير بن يزيد الآمليّ أبو جعفر (ت: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1420هـ، 2000م.
- الطَّنطاويّ، محمَّد سيِّد (ت: 1431هـ)، **التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، الفجالة، القاهرة، ط1، د.ت.
- العُثيمين، محمَّد بن صالح بن محمَّد (ت: 1421هـ)، **شرح رياض الصَّالحين**، دار المستقبل للطِّباعة والتَّوزيع، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1426هـ، 2005م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- القَرَضاوي، يوسف بن عبد الله، **خُطب الشَّيخ القَرَضـاوي**، إعداد: خالد السَّعد، مكتبة وهبة، مصر، ط2، 1417هـ، 1997م.
- القضاعيّ، أبو عبد الله محمَّد بن سلامة بن جعفر بن حكمون المصريّ (ت: 454هـ)، **مسند الشِّهاب**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط2، 1407هـ، 1986م.
- محمَّد رشيد رضا، محمَّد رشيد بن علي القلمونيّ الحسينيّ (ت: 1354هـ)، **تفسير المنـار**، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، د.ط، 1990م.
- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ)، **تفسير المراغـي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وألاده، مصر، ط1، 1365هـ، 1946م.
- مسلم، ابن الحجَّاج أبو الحسن القشيريّ النَّيسابوريّ (ت: 261هـ)، **صحيح مسلـم**، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- النَّوويّ، أبو زكريا محي الدِّين يحي بن شرف (ت: 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلـم بن الحجَّاج**، دار إحياء التُّراث العربي، ط2، 1392هـ.
- الهيثميّ، أبو الحسن نور الدِّين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت: 807هـ)، **مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدِّين القدسيّ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، د.ط، 1414هـ، 1994م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com